﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر: 18 - 22]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من نزع قوم نوحٍ بالمياه إلى نـزع عـادٍ بالرّيح

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقةُ قصّةَ نوحٍ ﷺ فيما اشتملَت عليه مِنَ الهول العظيم، نشأ في نفس السّامع توهُّمُ أنّ أحدًا بعدَهُم لن يَجترئَ على التّكذيب، خصوصًا إذا أُرسِلَ إليهم رسولٌ، فحَصَلَ التَّشوّفُ لِمعرفة ما جرى بعدَهم، فجيء بقصّة عادٍ، وهي أعظمُ ما وقع بعد نوحٍ فيما عرفَه العَربُ؛ ليكونَ في ذلك عِظةٌ لهم، وقد كان عذابُهم بالرّيح الّتي أذهبَت جبالَهم الرّمليّةَ، ممّا يُقرِّبُ تصوّرَ تسييرِ الجبالِ يومَ القيامة، ويشير إلى أهوال النّفخِ في الصّور، فافتتح القصّة بقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾؛ أي: كذَّبوا رسولَهم هودًا ﷺ، وتكذيبُهم به كان تكذيبًا بدعوةِ اللّه وإنذارِه[1]. كما أنَّ ذكرَ قصّة عادٍ حصلَت بعد قصّةِ قومِ نوحٍ ﷺ باعتبار التّرتيب الزّمانيِّ، وفي التّرتيب بيانُ الانتقال من عذاب الغَرق بالماء الّذي جاءَهم من فوقهم ومن تحتهم، إلى عذاب الرّيح الّتي جاءَتهم من فوقهم، وحرَّكَتِ الرّمالَ من تحتهم، فقومُ نوحٍ نُزِعوا من أرضهم بالماء، وعادٌ نزعوا من أرضهم بالرّيح الصّرصر.

❁ شَرْحُ المُفْرداتِ:

1) ﴿صَرْصَرًا﴾: أصل (صَرّ) يدلُّ على بَردٍ وصوتٍ. ومنه: الصِّرّ:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 114.

البَرد. والصَّرّة: شدَّة الصّياح[1]. والصَّرْصَر: الرّيحُ العاصِفَةُ الّتي يكونُ لها صَرْصَرَة؛ أي: دَويٌّ في هُبوبِها؛ من شِدَّةِ سُرعَةِ تَنَقُّلِها، والتَّضعيفُ فيه للمُبالَغةِ في شِدَّتِها[2]، مأخوذٌ مِنَ الصِّرّ: وهو البَردُ الّذي يَصُرُّ؛ أي: يَجمَعُ ويَقبِض، فيجعل الأشياء تتقبَّض وتتجمَّد[3]. والمراد هنا: ريحًا شَديدة البَردِ والصَّوت والعُصوفِ، حَتّى كانَت تُجَمِّدُ البَدَنَ ببَرْدِها، فتَكونُ كأنَّها تَصُرُّهُ - أي: تَجْمَعُهُ - في مَوضِعٍ واحِدٍ فتَمنَعُهُ التَّصَرُّفَ بقوَّتِه[4].

2) ﴿نَحۡسٍ﴾: أصل (نحس) يدُلُّ على خِلافِ السَّعْد[5]. ومنه النَّحْسُ، بالفَتحِ: الأمرُ المُظلِمُ[6]. والعَرَبُ تُسَمّي الرّيحَ الباردةَ إذا أدبرَتْ نَحْسًا. وقيل: هو الرّيحُ ذاتُ الغُبار[7]. وقيل: الغُبارُ في أقطارِ السَّماءِ إذا عكَف الجَدْبُ عليها[8]، وحقيقته أن يحمرَّ الأفقُ فيصير كالنُّحاس؛ أي: لَهَبٍ بلا دُخان، فصار ذلك مثلًا للشُّؤْم[9]. ويومٌ نَحسٌ: شَديدُ الحَرِّ كثيرُ الرّياح والعَجاج[10]، ومعنى النَّحْس: سوءُ الحالِ، وأُريدَ بـ ﴿يَوۡمِ نَحۡسٍ﴾: شُؤْمٍ وشَرٍّ[11]. وهو أوَّلُ أيّام الرّيحِ الَّتي أُرسِلَت على عادٍ، إذ كانت سبعةَ أيّامٍ إلّا يومًا[12].

3) ﴿تَنزِعُ﴾: أصلُ (نزع) يدلُّ على قَلْعِ شيءٍ وإزالتِه[13]. النَّزْعُ: الإزالَةُ بعُنفٍ؛ لِئَلّا يَبقَى اتِّصالٌ بَينَ المُزالِ وبَينَ ما كانَ مُتَّصِلًا بِهِ، وانتزَع الشَّيءُ: انقلَع[14]، والنَّزْعُ عنِ الشَّيء: الكَفُّ عنه، والنُّزوعُ: الاشتياق الشّديد[15]، ومعنى النَّزع في الآية: الإزالة للشَّيء بعُنفٍ، حتَّى يزولَ عن آخره، وينفصل عمّا كان مُتَّصِلًا به[16]. والمراد هنا: تَقلَعُهُم من مَواضِعِهم[17].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ص).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 259.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 9، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (صرصر).
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 163، 19/ 114.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نحس).
(6) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (نحس).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نحس).
(8) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (نحس).
(9) الرّاغب، المفردات: (نحس).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (نحس).
(11) الثّعلبي، الكشف والبيان: 25/ 277.
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نحس).
(13) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نزع).
(14) ابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(15) الرّاغب، المفردات: (نزع)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 193.
(16) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 107.
(17) الواحديّ، الوجيز، ص: 1047.

4) ﴿أَعْجَازُ﴾: أصل (عجز) يدلُّ على مُؤَخَّرِ الشَّيءِ. واحِدُه: عَجُز[1]. ومنه عَجُزُ الإنسانِ: مُؤَخَّرُهُ، وبه شُبِّهَ مُؤَخَّرُ غيرِهِ[2]. وفلانٌ عِجزةُ ولدِ أبَوَيهِ؛ أي: آخِرُهم[3]. فالعَجْزُ حقيقتُه التَّأَخُّرُ عن الشّيء، وحصولُه عند عَجُزِ الأمرِ؛ أي: مُؤخَّرِه، كما ذُكِر في الدّبر، وصار في التّعارف اسمًا للقصور عن فعل الشّيء، وهو ضِدُّ القُدرة[4]. وأعجاز النَّخل: أصولُها الَّتي تقومُ عليها. والمراد بها هنا: النَّخل بتمامِه ما عدا الفروع[5].

5) ﴿مُنقَعِرٍ﴾: أصلُ (قعر) يدلُّ على هَزْمٍ في الشَّيء ذاهِبٍ سُفْلًا[6]. ومنه القُعْرُ: الوَهدَة في الرَّملِ، وكذلك القَعْرُ، وجمعُه قعرَةٌ. وقَعْرُ الشَّيء: نهايةُ أسفله[7]. والقَعْوَرُ: بئرٌ عميقةٌ[8]. وقَعَرَ النَّخلَةَ والشَّجرةَ: قطَعَها مِن أصلها، فسَقَطت. وانْقَعَرَت هيَ: انجَعَفَتْ من أصلها وانصرعَت[9]. ويُقالُ: قَعَرْتُ النَّخلَةَ: إذا قَلَعْتَها مِن أصلها حتَّى تَسقُط[10]. وقال بعضُهم: معنى انْقَعَرَتْ: ذهبَت في قَعرِ الأرض، وإنَّما أراد تعالى أنّ هؤلاء اجتُثّوا كما اجتُثّ النَّخل الذّاهبُ في قَعْرِ الأرضِ، فلم يبقَ لهم رسمٌ ولا أثرٌ[11].

❁ المَعْنى الإجْمَاليّ:

إهـــلاكُ عـــادٍ إنـذارٌ للمُكذِّبين وتـــثـــبـــيـــتٌ للمُؤمنين

تُبيِّنُ الآياتُ الكريمةُ تكذيبَ عادٍ رسولَها، وكيف طلبَت منه أن يأتيَهم بالعذاب الّذي وعدَهُم به إنْ كان صادقًا، فأرسلَ اللّهُ عليهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجز).
(2) الرّاغب، المفردات: (عجز).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عجز).
(4) الرّاغب، المفردات: (عجز).
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 107.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قعر).
(7) الرّاغب، المفردات: (قعر).
(8) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (قعر).
(9) ابن سِيده، المُحكم: (قعر).
(10) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قعر)، والواحديّ، التّفسير البسيط: 21/ 105.
(11) الرّاغب، المفردات: (قعر).

ريحًا صرصرًا عاتيةً، استمرَّت سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ مُتتابِعةٍ، شُؤمًا وعذابًا، تَقلَعُ النّاسَ من أماكنهم، وتَصرَعُهم بشدّةٍ حتّى تَنفصِلَ رؤوسُهم عن أجسادهم، فيَبْدونَ بأجسامهم الضّخمة كأنَّهم أعجازُ نَخلٍ مُنقعِرةٍ، ساقطَةٍ على الأرض بعد اقتلاعها، ثمّ جاء الاستفهامُ التّحذيريُّ التّهديديُّ: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾؟ ليُفهَمَ منه شدّةَ ما أُنزِلَ بهم، وأنّ هذا جزاءُ المُكذِّبين بالرُّسُل، وتُختَمُ الفِقرةُ مرّةً أخرى ببيان نعمة الله في تيسير القرآن لِلحفظ والتَّذكُّر، فهو سبيل النَّجاةِ لِمَن وعَى واتَّعظ، فهل مِن مُدَّكِر[1]؟.

❁ الإيضاحُ اللّغويّ والبَلاغِيّ:

علّةُ فصل جملة ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾:

مَوقِعُ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ كمَوقِع جملة ﴿* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، فهي استئنافٌ بيانيٌّ؛ فكان مُقتضى الظّاهر أن تُعطَفَ عليها، وإنّما فُصِلَت عنها ليكونَ في الكلام تَكريرُ التّوبيخ والتّهديد والنّعي عليهم عَقِبَ قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةُۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [القمر: 4، 5]، ومَقامُ التّوبيخ والنّعي يقتضي التّكريرَ[2].

التّكرار والانفصال بين القَصص توثيقٌ لِمَوضِع كلِّ قوم مِنَ التّهديد

دلالة التّصدير بصيغة الماضي:

صُدِّرَتِ الجملةُ بالفعل الماضي ﴿كَذَّبَتْ﴾؛ لبيان سبق جريمتهم وثبوتها التّاريخيّ، وسُجِّلَت حَدَثًا مُنفصِلًا يستحقُّ الذّكرَ بذاته، وليكونَ عنوانًا لهم على مدى الزّمان إلى يوم القيامة، فيرتبطَ عنوانُ التّكذيب بالمُجرِمين في الأرض، فهُمُ المُكذِّبون على الحقيقة.

الذّنوبُ العظيمةُ آثارٌ يُثبتها التّاريخُ، وتلتصِقُ بصاحبها

بلاغةُ العموم بذِكر اسم القبيلة:

أسند النّظمُ الكريمُ فعلَ التّكذيب إلى عادٍ، مع أنَّ المُكذِّبين هم

(1) أبو بكر الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 5/ 210.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 191.

أغلبُ القوم لا جميعُهم؛ فالحُكمُ على عادٍ بالتّكذيب عمومٌ عُرفيٌّ، بناءً على أنّ معظمَهم كذَّبوهُ، وما آمنَ به إلّا نَفَرٌ قليلٌ، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾ [هود: 58][1]، والعموم باعتبار أنَّ المُكذِّبين كانوا هم أصحابُ السّطوةِ والسّلطةِ، والكلمةِ الفَصْل في مُحاربة دين الله تعالى، ورضي عمومُ النّاس بما كان، فكان للمُؤمنين حُكمُ الاستثناء.

تكذيب المَجموع بالحقِّ حكمٌ على جميعهم به

نُكْتَةُ ذِكرِ اسم القبيلة دون نسبتها لنبيِّها:

لم يقُل في السّياق الكريم: (كذّبَت قومُ هودٍ) كما قال: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾؛ وذلك لأنّ قومَ نوحٍ ليس لهم اسمُ قبيلةٍ حفظَه التّاريخُ لهم بعدَ الطّوفان؛ فعُرِفوا بالعنوان الإضافيّ: ﴿قَوۡمُ نُوحٖ﴾، وهو تعريفٌ غيرُ عَلَميٍّ لكنّه يحقِّقُ التّعريفَ بالانتماء إلى نبيّهم، أمّا ﴿عَادٞ﴾ فلها اسمُ عَلَمٍ قَبَليٍّ مَعروف، وهو أدلُّ على تعيينهم وتشهيرهم في التّاريخ، فذُكِروا باسمهم ﴿عَادٞ﴾، وهذا أبلغُ في تقريع المُخاطَبين وفضحِ الماضين؛ لأنّ اسمَهم العَلَم صار عَلَمًا على التّكذيب[2]، فكأنّه قيل: كذَّبَتِ الأمّةُ المَشهورة بتلك الجريمة.

مَن شُهِر بالباطل صار اسمُه علَمًا على الباطل

نُكْتَةُ حذفِ مَفعول التّكذيب:

حُذِفَ مَفعولُ فعل ﴿كَذَّبَتۡ﴾، والتّقدير: كذَّبَت عادٌ هودًا. فالمقصودُ التّكذيبُ بهودٍ عليه السلام، لكن لم يُذكَر صراحةً، لثلاث نُكَت؛ الاختصار: لأنّ المَقامَ ليس مَقامَ تفصيلٍ لقصّة هودٍ، بل هو مَقام إيجازٍ يركِّز على العِبرة والعذاب[3]. ولذلك لم يقُل: (فكذَّبوا هودًا) كما قال في قصّة نوحٍ: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾؛ لأنَّ تكذيبَ قومِ نوحٍ أبلغُ؛ لطول مَقامِه فيهم، وكَثرةِ عِنادِهم[4]. كما أنّ حكايةَ (عاد) مذكورةٌ

إذا حضرتِ العِبرةُ فلا حاجةَ لذكر التّفاصيل المَعلومة

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 191.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 301، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 83، 84.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84.
(4) القنّوجي، فتح البيان: 13/ 296.

هاهنا على سبيل الاختصار، فلم يَذكُر إلّا تكذيبَهم وتعذيبَهم، فقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ كما قال: ﴿* كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، ولم يَذكُر دعاءَه عليهم وإجابتَهُ كما قال في نوح[1]، ففيه إيجازٌ بالحذف الّذي يَفترض أنّ السّامِعَ على عِلمٍ بالقصّة، فهو حذفٌ يُغني عنِ التّطويل، ويُحفِّزُ الذّهنَ على استحضار مُجريات القصّة بنفسه، والمُسارعة إلى مَوضِع العِبرة، فالقَصْدُ ليس عرضَ الجَدَلِ بينهم وبين نبيّهم، بل الانتقالُ مُباشرةً إلى العقوبة الّتي توجِبُ الاتّعاظَ وهي قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.

نُكْتَةُ تقديمِ جملة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وتَكرارها:

جاء قولُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ تفريعًا على تكذيبهم، قبلَ ذكرِ نوعِ العذابِ وبعدَ ذكرِهِ، بخلاف المَواضِع السّابقة واللّاحقة، حيث اقتُصر على ذِكر الجملة بعد ذِكرِ العذاب، وفائدةُ التّقديم: التّنبيهُ على عِلَّة العذاب، وإثارةُ انتباهِ السّامعِ قبلَ أن يُلْقَى عليه وصفُ العذاب الغريب؛ ليتهيأ لِسماعه، ويُصغي له، كأنّه قيل: (كذَّبَت عادٌ، فانتبِه الآن، واستمعْ كيف كان عذابي)، ممّا يُثيرُ ترقُّبًا وتشويقًا، وهذا لا ينفي التّهويلَ، بل يقوّيه؛ لأنّ العذابَ الّذي أُتوا به نادرٌ وغريبٌ؛ أي: عذابٌ بالرّيح العاتية القاصِفة، لا مثيلَ له في الأمم الأخرى، فالسّياق يستدعي تقديمَ التّهويل[2]، وفائدة التّكرار: الجريُ على سُنن القَصص في هذه السّورة، مِنَ التّنبيه على شديد العذاب الواقِعِ عليهم، وتوزيعِ الأمرِ بالاعتبار عَقِب ذِكْر العِلّة وبعدَ بيان العقوبة، إيماءً إلى التّشابه بين الأقوام، فعادٌ تُشبهُ قبيلةَ قريشٍ والعَربَ في البُعْدِ القَبَليِّ، والعلاقةِ العشائريّة، وأثرِ القَرابةِ والعاداتِ والتّقاليدِ في توجيه النّاس، وزرعِ الاعتقاداتِ في أذهانهم.

توزيعُ الأمر بالاعتبار عَقِب ذِكرِ العِلّة وبعدَ بيانِ العقوبة إيماءٌ إلى التّشابُه بين الأقوام

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 301.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 301، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84.

بلاغة الاستفهام ودلالتُه:

إذا سبق الوعيدُ التّفصيلَ عظُمَ الأثرُ في القلب

الاستفهامُ في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ مَجازٌ مُرسَلٌ لعلاقة الإطلاق والتّقييد، يُرادُ به التّشويق؛ لأنّ الجوابَ على هذا الاستفهام لا يأتي مباشرةً، بل يتأخَّرُ إلى ما بعدَهُ، فالسّياقُ يستبقي ذهنَ السّامعِ مُعلَّقًا مُنتظِرًا الجوابَ. وهذا من أقوى أساليب التّشويق في البلاغة، وهو أيضًا مُكنّى به عن تهويل ذلك العذاب، وفي هذا الاستفهام إجمالٌ لحال العذاب، وهو إجمالٌ يزيد التّشويقَ إلى ما يُبيِّنه بعدَه من قوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النّبأ: 1]، ثمّ ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النّبأ: 2][1].

بلاغةُ المَجاز بحَذْف المُضاف:

التّحذيرُ المُشفِقُ يَجمعُ بين الوعد والواقع

حُذِفَ المُضافُ في قوله تعالى: ﴿عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، والتّقدير: (عاقبة عذابي أو أثر عذابي)؛ وذلك لتهويل أمر العذاب، إذِ المَقصودُ أثرُ العذاب لا العذابُ نفسه، فهو ما ينبغي أن يُلتفتَ إليه بما يترتَّبُ عليه من تحقيق الوعيد؛ أي: كيف كان عذابي؟ وكيف تحقَّقَت نُذُري الّتي سبقَتِ العذاب[2]. وهذا التّقدير يُرادُ به الجمعُ بين التّحذير قبلَ وقوعِ العذابِ والجزاءِ بعدَه.

فائدة تتابُع المؤكِّدات:

إظهارُ تحقُّقِ العذاب، وتهويلُ شأنه، وتعظيمُ أثرِه

التّأكيدات في جملة: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ للمبالغة في تحقُّق مَضمون الجملة[3]. فـ(إنّ) لتوكيد مَضمون الجملة، ودفعِ توهُّم الإنكار أو الاستبعاد مِنَ السّامِعين. وضمير العَظمة (نا): يفيدُ التّعظيمَ والتّهويلَ؛ أي: أنّ الفعلَ صادرٌ مِنَ الله تعالى بعظمته وجلاله، ممّا يُضاعِفُ هولَ العذاب. والفعل الماضي ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 191.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 191.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 18/ 323.

لِلتحقُّق والوقوع المُنجَز؛ أي: أنَّ الأمرَ قد تمَّ فعلًا لا محالة. وتقديمُ الجارِّ والمجرور ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ للاهتمام والاختصاص؛ أي: أنَّ العذابَ مُسلَّطٌ عليهم هم بالذّات دون غيرهم، فالآيةُ مُحكَمةٌ في تأكيد أنَّ العذابَ واقعٌ بهم من عند الله، مُؤكَّدٌ، مُتحقِّقٌ، مَخصوصٌ بهم، لا مَهرَبَ منه.

علّة فصل جملة ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بيانٌ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، فالجملةُ بيانٌ وتفسيرٌ لِما أجملَه سابقًا مِنَ العذاب، فهي من باب كمال الاتّصال، وتحتمل أن تكونَ استئنافًا لبيان السّابقة، فهي بيانٌ للإجمال، فهي من باب شبهِ كمال الاتّصال[1].

بيانُ العذاب يكشِفُ فداحةَ التّكذيب، ويُفصِّلُ مَوضِعَ الإجمال

نُكْتَةُ الاكتفاء بجملة البيان بحال العذاب دونَ الإنذار:

جملة البيان ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بيّنت حالَ العذاب دون حالِ الإنذار؛ لأنّ الإنذارَ قد فُهِم مِنَ التّكذيب، فلا تكذيبَ إلّا بعدَ الإنذار، فكان مِنَ الإيجاز والاقتصاد في اللّفظ أن يُكتفى بهذا التّضمين البلاغيّ في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾، فلم يَذكُر مَن كذَّبوه اكتفاءً بوضوح المعنى في أنّهم كذَّبوا نبيّهم هودًا عليه السلام[2].

إرسالُ العذاب نتيجةٌ من ورائها سببٌ، وهو عدمُ الانتفاع بالإنذار

فائدةُ تعديةِ فعل الإرسال بحرف الاستعلاء:

عُدّيَ فعلُ الإرسالِ بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾ إعلامًا بالنّقمة[3]، وإيذانًا بإشراف العذاب عليهم واستعلائه؛ أي: أنَّ الرّيحَ جاءَت من فوقهم مُسلَّطةً قاهرةً، وتنبيهًا على إحاطة العذاب وإطباقه، فالعذابُ لم يَمُرَّ بهم مرورًا، بل

تصوير الرّيح قوّةً عُلويّةً قاهرةً نازلةً بإحاطة، تُبرِز شدّةَ العذاب وسرعةَ التّدمير

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84، والقنّوجي، فتح البيان: 13/ 296، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 191.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 192.

(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 114.

غشيَهم وأحاطَ بهم. وفي حرف الاستعلاء إفادةُ التَّمكُّنِ مِنَ النِّكاية، فالعذابُ مُسيطِرٌ عليهم، لا يَملِكون منه فرارًا ولا دفاعًا.

تعيين مَرجِع الضّمير ودلالتُه:

تعديةُ الإرسال في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا﴾ إلى ضميرهم، هي كإسناد التّكذيب إليهم بناءً على الغالب، وقد أنجى اللّهُ هودًا والّذين معه، أو هو عائد إلى المُكذِّبين بقرينة قوله: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ﴾[1].

العـذاب واقـع عـلى المُـكـذِّبـين مختصّ بهم

غرض تنكير لفظ ﴿رِيحًا﴾:

نُكِّر لفظ ﴿رِيحًا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا﴾؛ للتّفخيم والتّعظيم؛ أي: ريح هائلة، لا تُدرَك حقيقتُها من شدّتها، ولا عهدَ للنّاس بمثلها.

ريـح عظيمة هائلة، لا تُدرَك حقيقتُها من شدّتها

بلاغة استعمال مُفردة ﴿صَرۡصَرًا﴾:

وَصْفُ الرّيح بـ﴿صَرۡصَرًا﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا﴾ جاء لتقرير أنّ الرّيحَ كانَت في غاية الشّدّة، فهي باردةٌ مُدمِّرةٌ تَحرقُ بشدّة بردها، وشديدة الصّوت تُرعِب وتُزلزِل القلوبَ، فجَمَعَ في وصفٍ واحدٍ بين شدّة البرد وهولِ الصّوت؛ لزيادة تهويلِ العذاب[2]. ولو ذَكَرَ أنّها ريحٌ باردةٌ أو شديدةٌ، لَما أفادَ هذه المعاني مُجتمِعةً.

اجتماعُ أوصافٍ عديدة في لفظٍ واحدٍ أوكدُ في تهويل مَوقِف العذاب

دلالة إضافة اليوم إلى الصّفة:

الإضافة في قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ﴾ من باب إضافة الزّمان إلى ما يقعُ فيه، مثل: يوم الفتح، يوم القيامة، يوم التّلاق؛ أي: هو يومٌ وُصِفَ بما حَدَثَ فيه. فالنّحس ليس صفةً ذاتيّةً لليوم، وإنّما صفةٌ لِما جرى فيه من عذابٍ على الكافرين، فصار يومًا مَنحوسًا بالنّسبة إليهم، لا في ذاته. وهذا يفيد أنّ الزّمانَ بريءٌ مِنَ النَّحس والسَّعد،

تعليق الأحكام بما يُقدِّره اللهُ، لا بذات الزّمان

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 192.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 114.

وإنّما النّاسُ هُم مَن يرَون فيه شؤمًا أو خيرًا، بحسب ما يُصيبُهم فيه، وهذا يُردُّ على اعتقادات الجاهليّة ومَن شابههم في التّشاؤم بالأيّام. فاليومُ الواحِدُ قد يَحمِلُ عذابًا لقومٍ ورحمةً لآخرين[1].

بلاغة المَجاز العقليّ ودلالاته:

النّحس معنًى قائمٌ في الزّمان

إضافة ﴿يَوْمٍ﴾ إلى ﴿نَحْسٍ﴾ مِنَ المَجاز العقليِّ، فـ(النَّحس) في الحقيقة صفةٌ لِما يقعُ في اليوم من شقاءٍ أو عذابٍ أو بلاءٍ؛ أي: صفةٌ للحوادث لا لليوم نفسِه. لكنّ الآيةَ أضافَت (النّحس) إلى اليوم، فوُصِفَ اليوم بالنّحس، وهذا نقلٌ للصّفة من مَحلِّها الحقيقيِّ (الحدث) إلى غيره (الزّمان)، فيُعدُّ مَجازًا عقليًّا. وبلاغةُ هذا المَجاز تظهرُ في نواحٍ عدَّةٍ؛ منها: التّكثيفُ والتّصويرُ المَجازيُّ، فكلُّ لحظةٍ في ذلك اليوم مَشؤومة، وإشاعة الجوِّ النّفسيِّ المُخيف؛ فالمَجازُ العقليُّ يُنتِجُ جوًّا نفسيًّا مِنَ الرّهبة، وإبرازِ شمولِ العذابِ وامتدادِهِ، فنَقلُ النَّحسِ إلى (اليوم) كلِّه يوحي بأنّ النّكبةَ لم تكُنْ لحظةً عابرةً، بل استغرقَتِ الزّمانَ كلَّه، والتّحقيرَ والسّخريةَ مِنَ القوم، فعذابُهُم صار يومًا مَشهورًا في سجلِّ الزّمان بالنَّحس، وذلك يُرسِّخُ خِزيهم في الذِّهن، ويَجعلُ من مُصيبتِهم عِبرةً تاريخيّةً بارزةً.

بلاغة الوصف في قوله: ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾:

أشدُّ العذابِ ما استمرَّ إلى حين تتميم المَقصِد

أفاد وصفُ النّحس بـ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ في قوله: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ توكيدَ أنّ الشَّرَّ الّذي وقَعَ لم يكُن لحظةً طارئةً، بل كان قويًّا في ذاته؛ أي: نَحسًا بلغَ غايتَه في الشُّؤم. وهو ماضٍ نافذٌ في أمره؛ أي: ليس عارِضًا يمكن دفعُهُ أو التَّراجُعُ عنه، بل هو تنفيذ إلهيّ حاسم. وكونه مُستمِرًّا يجعلُهُ دائمَ الأثر حتّى تمام الانتقام؛ أي: استمرّ النَّحسُ حتّى استأصلِهِم. والغايةُ البلاغيّةُ في ذلك: أنّ المَقصودَ باليوم ليس المُفردَ، بل الجنس؛ أي: أيّام العذاب المُتتابِعة، فوَصفُ يومِ النّحس

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 192، 193.

بـ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ يُفهَمُ منه الامتدادُ الزّمنيُّ للعذاب، واتصالُه بلا انقطاع حتّى تَمام النِّقمة. كما أنّ لفظَ ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ يومِئُ بأنّ النّحسَ لم يكُن فقط في الزّمان بل في القَدْر؛ أي: في طبيعة ما أصابَهم، فيتأكَّدُ بذلك أنّ العذابَ كان شامِلًا من حيثُ الزّمانُ والأثرُ والقَدْرُ معًا[1].

الدّلالة المَجازيّة لصفة ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾:

تشخيصُ الزّمان وتصويرُ الوقت بالدّوام تهويلٌ لوقع العذاب

على جَعْل قولِه: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ صفةً ثانيةً لليوم، فنِسبةُ الاستمرار إلى اليوم مَجازٌ عقليٌّ؛ لأنّ الأصلَ أنّ (اليوم) لا يستمرُّ؛ لأنّه وحدةٌ زمنيّةٌ مَحدودةٌ، فالمرادُ: استمرارُ أثرِه أو نَحْسِه أو عذابِه، لا استمرار الزّمانِ نفسه، فهو مَجازٌ عقليٌّ بإسنادِ الصّفةِ إلى ظرفِ ما يستحقُّها. فالصِّفة هي: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾، والمُستحِقُّ لها في الحقيقة هو: النَّحس أو العذاب الّذي حَصَلَ في اليوم، لكنّها أُسنِدَت إلى (اليوم)، وهو الظّرف. فصار التّعبيرُ مَجازًا عقليًّا؛ لأنّ الصّفةَ نُسِبَت إلى غير ما تستحقُّه في الحقيقة[2].

تنوّع الدّلالاتِ للفظ ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾:

العذابُ الثّقيلُ المُحكَمُ يُحَسُّ كما تُحَسُّ المَرارة

يحتمل أن يكونَ ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ بمعنى مُحكَم؛ أي: دقيق في إنفاذ العذاب، كما في قولهم: أمرٌ مُستمرٌّ؛ أي: نافذٌ لا خللَ فيه. ويحتمل أن يكونَ بمعنى: (شديد المَرارة)، فيكون مَجازًا عن هول اليوم وبشاعته، إذ لا طَعْمَ لليوم، ولكن قُصِدَ بـ(مَرارته) ما فيه مِنَ الشِّدّة. وهذه استعارةٌ شُبِّه فيها اليومُ أو العذابُ بشيءٍ مُرِّ الطّعم، فأثبتَ له (المَرارة) تجسيدًا لشِدّة الأذى. وهذه استعارةٌ مَبنيّةٌ على تشبيهٍ مَعنويٍّ بحِسّيٍّ، وهي أوضحُ ضروب البلاغة؛ لأنّها تنقلُ الإحساسَ من مُستوى التّجريد الذّهنيِّ إلى مُستوى التّذوُّق الجسديِّ، فتجعل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 115، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84، والقنّوجي، فتح البيان: 13/ 296.

المُخاطَبَ كأنّه يَتذوّقُ العذابَ[1]، ولا مانعَ من إرادة الجميع، فأشَدُّ العذابِ وأكثرُهُ مَرارةً هو ما أُحكِمت فيه أسباب نفاذ العذاب.

بلاغة الاستئناف البيانيّ:

إذا نـزل الأمـرُ الإلـهـيّ تلاشَتِ الحصون

جملة: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ لإرسال الرّيح عليهم، وقعَت جوابًا لسؤالٍ مُقدَّرٍ: فماذا فعلَت بهم تلك الرّيح؟ وكيف أثَّرَت فيهم؟ فأُجيب بجملة: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ﴾.

بلاغة التّعبير بمُفردة النّزع:

الـرّيـحُ وحـدَها كـافـيـةٌ في هدم أسطورة القوّة

التّعبيرُ بمُفردة النّزع في قوله: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ هو تصويرٌ للعُنف والقوّة في إصابةِ الرّيح إيّاهم، بما يدلُّ على أنّ الرّيحَ كانت تقتلِعُهم اقتلاعًا، والنّزعُ فيه شدَّةٌ وتكلُّفٌ ومُقاومةٌ[2]. وعِلّةُ أخذِهم بكيفيّة النّزع: التّنبيهُ على عَجزِهم التّامِّ عن مُقاومة الرّيح، وأنّها كانَت أقوى من كلِّ قويٍّ فيهم، وأقوى من جميع أسبابهم في القوّة، فمَن كان على وجهِ الأرضِ أخذَته، ومَنِ احتمى منها بمانعٍ أو ساترٍ أو بنيانٍ أو خندقٍ أخذَته واقتلعَته، فلا صمودَ لهم أمامَها بوجهٍ مِنَ الوجوه[3].

بلاغة الإظهار في مَقام الإضمار:

الإهلاكُ لا يخصُّ بل يَعمُّ ويَغُمُّ

آثر النّظمُ الكريمُ إظهارَ المفعول ﴿ٱلنَّاسَ﴾ بدلًا مِنَ الضّمير[4]، فلم يقُل: (تنزعهم)، بل جيء بلفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ للتّنصيص على العموم؛ أي: ليشملَ الذّكورَ والإناث، الكبار والصّغار، وكلَّ مَن كان من قوم عادٍ ممّن نزَلَ بهم العذابُ، ولو قال: (تنزعهم) لَتوهِّمَ إرادةُ أكابرِ المُجرمين مِن عادٍ. وهذا من بلاغة القرآن؛ لأنّ الضّميرَ قد يُتوهَّمُ منه التّخصيصُ أو الإشارةُ إلى المَذكورين سابقًا، أمّا إيرادُ الاسم الظّاهرِ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ ففيه إظهارٌ في مَقام الإضمار،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 115، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 84.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 304، وابن عادل، اللّباب: 18/ 257.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 115.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 96.

يُفيدُ التّهويلَ والتّعميم، والتّنبيهَ على أنّ الرّيحَ لم تُبقِ منهم أحدًا، فالجميعُ نُزِعوا بقوّةٍ. كما أنّه يُهيّئ المَشهَدَ لارتباطهم بصورة ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾؛ ليتمَّ التّخييلُ كاملًا بذِكر الهيئة ﴿ٱلنَّاسَ﴾ ثمّ المشبَّه به (أعجاز النّخل).

بلاغة المَجاز العقليّ:

تصوير الرّيح بأنّها تحوَّلت إلى أداة ذاتيّةٍ تتولّى اقتلاعَ النّاس

أُسند فعلُ النّزع في قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ إلى الرّيح، والفاعلُ الحقيقيُّ هو الله ﷻ، إذ هو الّذي يُجري الرّيحَ، ويجعلُها سببًا للإهلاك، وإسنادُ الفعل إلى الرّيح مَجازٌ عقليٌّ يُؤذِنُ بشِدّة مُباشرتِها للعذاب، كأنّها فاعِلةٌ بذاتها، ففي الإسناد تصويرٌ مَحسوسٌ لقوّة الرّيح وفتكِها، حتّى بدَت وكأنّها صاحبةُ فعلٍ مُستقلٍّ، وفائدةُ ذلك: تهويلُ المَشهَد، كأنّ الرّيحَ نفسَها تتولّى اقتلاعَ النّاس وإلقاءَهُم أرضًا، لا مُجرَّد كونها أداةً مُسخّرَةً[1].

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

تمييزُ المَقصود بالعقوبة دون سائر النّاس

(أل) في ﴿ٱلنَّاسَ﴾ للعهد الذّهنيّ؛ أي: النّاسَ المَعهودين في سياق القِصّة، وهم قوم عادٍ الّذين أصابَهم العذابُ. وفائدةُ التّعريف: تمييزُ المَقصود بالعقوبة دون سائر النّاس.

بلاغة التّشبيه المُرسَل التّمثيليّ:

ألطفُ التّشبيه ما صَوَّرَ الغائِبَ بالمُشاهَد المَحسوسِ لدى المُخاطَبين

في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ تشبيهٌ مُرسَلٌ تمثيليٌّ، حيثُ شُبِّهوا بأعجاز النّخل، وهي أصولُها بلا فروع؛ لأنّ الرّيحَ كانَت تقلَعُ رؤوسَهم، فتُبقي أجسادًا وجُثثًا بلا رؤوس، ويَزيدُ هذا التّشبيهُ قوّةً، أنّهم كانوا ذَوي جُثَثٍ عِظامٍ طِوالٍ. وهذا من تشبيه المَحسوس بالمَحسوس، فالمُشبّهُ هنا (عاد) قومُ هود، والمُشبّهُ به أعجازُ النّخل، وهما حِسّيّان[2].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 18/ 325.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 86، صافي، الجدول: 14/ 73.

وجهُ التّشبيهِ بأعجاز النّخل المُنْقَعِر:

حضورُ صفات المُشبّه به في المُشبَّه تمثيلٌ للغائب بالحاضر

تشبيهُ (عاد) بعد إنزال العذابِ بهم بأعجاز النّخل المُنقعِر، وهي أصول النّخل، أو جذوعُها الّتي بقيَت بعد انقلاع رأسِها من أصله، يُفهَمُ منه الإشارةُ إلى ضخامة أجسادِهم، فشُبِّهوا بجُذوع النَّخلِ لا الأغصانِ أو الورقِ، وهذا يُذكِّرُ بقول الله فيهم: ﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨﴾ [الفجر: 8]. والإشارةُ إلى اقتلاعهم مِنَ الأرض كما تُقتلَعُ النَّخلةُ من أصلها، وهذا يدلُّ على أنَّهم كانوا ثابتين في الأرض بثِقلهم أو بمحاولة مُقاومة الرّيح، لكنّها مع ذلك قلعَتهُم بعُنفٍ. فالتّشبيهُ يَجمَعُ بين العُنف في الفعل، والضّخامةِ في المَفعول به، وهو من أروع الصّور الّتي ترسُمُ بشاعةَ العذاب وقوّةَ الرّيح، وتُعزِّزُ التّهويلَ المُرادَ في سياق السّورة[1].

نوع الإضافة ودلالتُها:

إضافةُ الأعجازِ لتصوير السّقوط المَهيب والنّهايةِ المُزلزِلة

الإضافةُ في قوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ هي إضافةٌ بيانيّةٌ، من قبيل إضافةِ الجُزءِ إلى الكلِّ، إذ أُضيفتِ الأعجازُ إلى النّخل؛ لبيان أنّها أعجازٌ له لا لغيره، وفائدةُ الإضافة: تعيينُ هيئةِ المُمزَّقين المُلقَين على الأرض بلا رؤوسٍ ولا حركةٍ، في صورة ساقطين ضخامٍ كأعجازِ النّخلِ بعد اقتلاعها.

عِلّة ذِكرِ الأعجاز دونَ الرّؤوس:

إذا قُلِعَتِ الرّؤوس، طُمِسَت مَعالِمُ الحياة

في ذكر ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ دون (رؤوسها) دلالةٌ على الخَواء والخَراب، فهُم بلا روحٍ ولا حياة، أجسامٌ خاويةٌ تسقُطُ ميّتةً، انفصلَتْ عنها رؤوسُها، فلأنّ الرّيحَ كانَت تقلَعُ رؤوسَهم فتُبْقي أجسادًا وجُثَثًا بلا رؤوسٍ، لم يذكُرِ الرّؤوسَ[2]. فهو وصْفٌ للواقع الحِسّيِّ الّذي آلَ إليه القومُ بعدَ العذاب، لا مبالغةً في البيان المَعنويِّ.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 304، وابن عادل، اللّباب: 18/ 257.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 86.

دلالة التّقييد بصفة ﴿مُّنقَعِرٍ﴾:

آثر النّظمُ الكريم الوصفَ بـ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾؛ للإشارة إلى أنّ الرّيحَ صَرَعَتهُم صَرعًا تَفَلَّقَت منهُ بُطونُهم، وتَطايرَت أمعاؤُهُم وأفئدَتُهم، فصاروا جُثثًا فارغةً، وهذا تفظيعٌ لحالِهم، ومُثلَةٌ لهم؛ لِتخويف مَن يَراهُم[1].

مَن فُرِّغَ مِنَ الرّوح صار صورةً للموت

عِلّة التّذكير في ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾:

النّخل اسمُ جنس يُذَكّر ويُؤنّث، وقد ذُكِّر الوصفُ في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾، وأنّث في قوله: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: 7]؛ لمناسبة الفواصل[2].

التّذكير لمناسبة الفواصل

دلالة التّعبير بـ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ مادّةً وصيغةً:

التّعبير بمفردة ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ يَجمعُ بين دلالة المادَّة والصّيغة؛ فمِن حيثُ المادّة (قعر): تدلُّ على الاقتلاع مِنَ الأصل، بقلعٍ شديدٍ يَتركُ حُفرةً وأثرًا عميقًا؛ أي: ليس مُجرَّدَ سقوطٍ بل اقتلاعٌ جذريّ عنيف. ومن حيثُ الصّيغة: (اسم فاعل على وزن مُنفَعِل)، تُفيدُ قيامَ الوصفِ بالذّات؛ أي: أنّ النّخلَ نفسَه في حال الانقلاع والانقعار، فهو في صورة ذاتٍ حيّةٍ مُتلبِّسةٍ بهذا الحَدَث، فالتّعبيرُ باسم الفاعل وصفٌ لحال الهَلَكَى، بأنّهم في هيئة النّخل الّذي أخذَته قوّةٌ قاهرةٌ حتّى صار هو بنفسه في حالِ انقلاعٍ واضطرابٍ، فاقتلاعُهم ليس عارِضًا، بل صفةٌ ثابتة مُستمرَّة بهم تصحَبُهم حتّى بعد هلاكهم[3].

وَصْفُ الأجسادِ بالاقتلاع الجَذريّ تصويرٌ لشِدَّة الهلاك واستمراره

نُكْتَةُ تكرار قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾:

تكرَّرَ قولُه تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ في نفس قصّة عادٍ

التّكرار مُؤذِنٌ بتباين المعنى

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 194.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 42.

(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (قعر)، وصافي، الجدول: 14/ 73.

مرّتين؛ في المَوضِع الأوّل منها: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، وفي المَوضِع الثّاني فيها: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾. وغرضُ التَّكرار: التَّهويلِ والتّفخيم، فتَكرارُ الجملةِ يُرادُ به تعظيمُ الأمر وتضخيمُهُ في نفس السّامع، فهو إثارةُ رُعْبٍ ودهشةٍ من ذلك العذاب، فالآيةُ الأولى قبلَ ذِكرِ العذاب، والثّانية بعدَ ذِكره، وكأنّها خاتِمةٌ موجِعةٌ لِمَشهَد الصّرعى[1].

توجيه المتشابِه اللّفظيّ:

ما كَـثُرَ وقوعُه عُـرِّف، وما نَـدَر نُكِّر

جاءَتِ الرّيحُ نكرةً في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾، ومعرفةً في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١﴾ [الذّاريات: 41]، ووجهُ ذلك: أنّ العُقمَ في الرّيح أظهرُ مِنَ البرد الّذي يَضرُّ النّبات، أو الشِّدّة الّتي تَعصِفُ الأشجارَ؛ لأنّ الرّيحَ العقيمَ هي الّتي لا تُنشِئُ سحابًا، ولا تُلقِّح شجرًا - وهي كثيرة الوقوع -، وأمّا الرّيحُ المُهلِكةُ الباردةُ فقلّما توجَدُ؛ فقال: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١﴾ [الذّاريات: 41]؛ أي: هذا الجنس المعروف، ثمّ زادَهُ بيانًا بقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢﴾ [الذّاريات: 42]، فتميَّزَت عنِ (الرّيح العقيم)، وأمّا (الصّرصَر) فقليلةُ الوقوعِ، فلا تكونُ مشهورةً؛ فنَكَّرَها[2].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 166.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 303.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"